

### الفصل الخامس

### عصر النفوذ التركي والفوضى العسكرية

#### المبحث الاول

#### عصر تسلط القادة الأتراك

لقد بدأ استخدام الأتراك في الجيش الإسلامي منذ العهد الأموي، حيث قام قتيبة بن مسلم الباهلي بتجنيدهم ومنحهم العطاء، على الرغم من أن بعضهم لم يكن مسلماً في البداية. ومع مرور الزمن، دخل الأتراك في الإسلام. وفي عهد الدولة العباسية، استمر استخدامهم، حيث نسمع عن وجود فرق عسكرية تركية منذ عهد الخليفة أبي جعفر المنصور. ولكن مع وصول المعتصم إلى الحكم، توسع في استخدام الأتراك، فتدرجوا في المناصب العسكرية حتى وصلوا إلى مراتب عليا مثل الأفشين، أشناس، وصيف، بغا الكبير، بغا الصغير "الشرابي"، وإيتاخ، وغيرهم. كما تولى بعضهم إدارة الولايات المختلفة.

عندما تولى الخليفة المتوكل على الله الحكم (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م)، بلغ بعض القادة الأتراك مكانة كبيرة. كان لإيتاخ نفوذ واسع، فقد تولى مسؤولية "الجيش والمغاربة" والأتراك والموالي والبريد والحجابة ودار الخلافة والإشراف على بيوت الأموال. إلا أن غرور إيتاخ لم يكن خافياً، مما دفع الخليفة المتوكل لمحاولة التخلص منه. حاول إيتاخ قتل الخليفة في إحدى المجالس، فأرسل المتوكل من ينصحه بالذهاب للحج. طلب إيتاخ الإذن بذلك، فأعطاه الخليفة الإذن، وأثناء رحلته قبض عليه والي بغداد بعد أمر من المتوكل، فتم سجنه. حين حاول العودة إلى سامراء، أرسل إليه إسحاق بن إبراهيم قائلاً: "إن أمير المؤمنين قد أمر أن تدخل بغداد، وأن يلقاك بنو هاشم ووجوه الناس، وأن تقعد لهم في دار خريمة بن خازم وتأمر لهم بالجوائز". وتم قتله في بغداد، ويقول الطبري في هذا الشأن: "ولولم يفعلوا ذلك ببغداد ما قدروا عليه".

ضاق الخليفة المتوكل ذرعاً بتصرفات الأتراك وبالتحكم في موارد الدولة، وبدأ يفكر في كيفية التخلص منهم، كما يقول الطبري: "جعل يجيل الآراء في استئصالهم"، و"جفا الموالي من الأتراك واطرحهم وحط مراتبهم وعمل على الاستبداد بهم والاستظهار عليهم". بدأ المتوكل بإجراءات عملية، فعندما ذهب إيتاخ للحج، نقل الحجابة إلى وصيف الخادم، وأصدر أوامر بمصادرة ممتلكات وصيف وإقطاعها للفتح بن خاقان، كما كان عازماً على قتل وصيف وبغا.

من أجل تقليص نفوذ الأتراك، أسس المتوكل فرقة عسكرية عربية وأدخلها في الجيش العباسي. انضم إلى وزيره عبد الله بن يحيى بن خاقان نحو ١٢ ألفاً من العرب والصعاليك وغيرهم ليكونوا تحت إمرة المعتز، ابن الخليفة.

فكر المتوكل في الانتقال من سامراء، ويحدثنا ابن الأثير عن ذلك قائلاً: "في هذه السنة ٢٤٣هـ/٨٥٧م، دخل المتوكل مدينة دمشق في صفر، وعزم على المقام بها، ونقل دواوين الملك إليها وأمر بالبناء بها، ثم استوبأ البلد... فرجع إلى سامراء، وكان مقامه في دمشق شهرين وأياماً". وخلال وجوده في دمشق، حاول بعض الأتراك تدبير مؤامرة ضده، فكتبوا إلى بغا الكبير يحذرونه من نية المتوكل تجاهه، وفي الوقت نفسه، أرسلوا إلى المتوكل يحذرونه من بغا الكبير. انطلت الحيلة على كل من المتوكل وبغا، فأمر المتوكل بغا بالمكوث في الثغر لمواجهة الروم.

بعد عودة المتوكل إلى سامراء، أمر ببناء مدينة جديدة سماها الجعفرية. في سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م، أمر المتوكل ببنائها، وخصص للجنود والقادة فيها إقطاعات. بلغت تكلفة البناء نحو مليوني دينار، وبنى فيها قصرًا سماه "لؤلؤة" ووصفه بأنه لم ير مثله في ارتفاعه، وحفر نهرًا لري الأراضي المحيطة، لكن بعد مقتل المتوكل، توقف العمل في النهر وأهملت المدينة.

لم يكتفِ المتوكل بهذه الأعمال، بل خطط للتخلص من قادة الأتراك مثل وصيف وبغا. يشير الطبري إلى أن المتوكل "عزم... على أن يقتل وصيف وبغا وغيرهما من قواد الأتراك" وقد حدد لذلك يوم الخميس ٥ شوال، لكن الخلاف بين المتوكل وابنه المنتصر ساعد الأتراك في استغلال الوضع وتعميق الخلاف بين الأب وابنه، مما أتاح لهم الفرصة للتخطيط لاغتيال الخليفة.

فشل المتوكل في الحد من نفوذ الأتراك، فدبروا له مؤامرة قادها بغا ووصيف وبمشاركة باغر. حددوا موعداً لذلك، وصرفوا ندماء الخليفة ثم هجموا عليه وقتلوه. حاول وزيره الفتح بن خاقان حماية الخليفة فألقي بنفسه عليه، لكنه قتل معه. بمقتل المتوكل انتهى العصر العباسي الأول، وبدأت مرحلة النفوذ التركي التي استمرت حتى دخول البويهيين إلى بغداد سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م.

### - فترة الفوضى العسكرية:

بدأت هذه الفترة بتولي المنتصر للخلافة في سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م بعد مقتل والده المتوكل على الله، وانتهت بتولي المعتمد على الله الخلافة سنة ٢٥٦هـ/٨٦٩م. وقد تميزت هذه المرحلة بتدخل الأتراك السافر في شؤون الدولة، بما في ذلك تنصيب وعزل الخلفاء، وتعرضهم للقتل. وقد وصف الفخري هذه الحالة قائلاً: "إن الأتراك قالوا: قد استولوا منذ قتل المتوكل على المملكة، واستضعفوا الخلفاء، فكان الخليفة في أيديهم كالأسير، إن شاؤوا قتلوه، وإن شاؤوا خلعوه".

تولى أبو جعفر محمد بن جعفر المتوكل الخلافة في الليلة التي قُتل فيها والده، في ٣ شوال. وعند الصباح، حضر القادة والكتّاب والجنود لتلقي خبر مقتل المتوكل، حيث قرأ أحمد بن الخصيب عليهم كتاباً يخبرهم بأن الفتح بن خاقان هو من قام بقتله. وهذا الاتهام للفتح لم يكن صحيحاً، إذ قُتل الفتح أثناء دفاعه عن سيده المتوكل.

خاف القادة الأتراك من أبناء المتوكل الآخرين، خصوصاً المعتز والمؤيد، خاصة وصيف وبُغا، حيث أجبروا المنتصر على خلع أخويه من ولاية العهد. وقد عبّر أحمد بن الخصيب عن هذا الخوف بقوله لوصيف وبُغا: "إننا لا نأمن الحدثان، وإن يموت أمير المؤمنين، فيلي المعتز الخلافة فيبيد خضراءنا". ولذا أصر الأتراك على خلع المعتز والمؤيد، ووافق المنتصر على ذلك بعد الضغط عليهم، وأحضر المعتز والمؤيد بعد أربعين يوماً من خلافته، ووضعاً في دار تحت الحراسة.

وفي تلك الأثناء، كانت الخلافات بين القادة الأتراك تلعب دوراً في تفاقم الوضع الداخلي. فقد كانت بين أحمد بن الخصيب ووصيف شحناء وتباغض، مما دفع أحمد بن الخصيب لتحريض المنتصر ضد وصيف. أرسل المنتصر إليهما بأن أحد الأعداء قادم من الروم، مما أدى إلى تصعيد التوتر. أحسن المنتصر إلى أهل الحرمين وأطلق أوقاف العلويين، وعزل صالح بن علي عن المدينة وعين علي بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بدلاً منه. لكن لم تعمّر فترة المنتصر طويلاً، إذ توفي بعد ستة أشهر من خلافته في ظروف غامضة. اختلفت الروايات حول وفاته، فمنها من تشير إلى أنه توفي بسبب فصد بمبضع مسموم، وأخرى تقول إنه تعرض لذبحة.

بعد وفاة المنتصر، اجتمع القادة الأتراك -بغا الكبير وبغا الصغير وأتامش- واتفقوا على ضرورة أن يكون الخليفة من نسل المعتصم، مما يبرز تدخل الأتراك بشكل مباشر في اختيار الخليفة. لكن تمرد بعض القادة ضد البيعة، مما أدى إلى اشتعال النزاعات بين الأتراك والأبناء لفترة استمرت ثلاثة أيام انتهت بسيطرة الأتراك.

ومع تولي المستعين (٢٤٨-٢٥٢ هـ)، ازدادت المنافسات بين الأتراك. استأثر المستعين بالأموال، لكن الأمور ساءت عندما استأثر أتامش، وزير المستعين، بالسلطة، مما أدى إلى ثورة الأتراك ضد استئثاره. انتهت هذه الثورة بمقتل أتامش في ربيع الآخر سنة ٢٤٩ هـ.

بعد مقتل أتامش، عين المستعين عبد الله بن يزداد وزيراً جديداً، وأجرى تغييرات إدارية. ومع ذلك، بقي الخليفة عاجزاً عن تعيين أو عزل وزرائه. وفي وقت لاحق، انتقل الصراع إلى باغر الذي جمع جماعة من الذين بايعوا لقتله المتوكل.

عندما أصبح المستعين بلا حول له ولا قوة، انتقل إلى بغداد، لكن الأتراك استغلوا الفرصة لخلعه، ونصبوا المعتز بالخلافة بدلاً منه بعد إخراجه من السجن هو وأخيه المؤيد. وأصبح المعتز في سامراء، بينما المستعين في بغداد، مما أدى إلى نشوب حرب بين الطرفين.

قام المستعين بتدبير جيش للدفاع عن بغداد، بينما أسند المعتز قيادة جيشه إلى أخيه، وقام بتحسين المدينة. ومع تزايد الضغوط الاقتصادية، بدأت الأمور تزداد سوءاً، مما دفع بعض قادة المستعين للمطالبة بالصلح. في نهاية المطاف، طلب محمد بن عبد الله بن طاهر من المستعين التنازل عن الخلافة، وتمت الموافقة على شروط الصلح.

تولى المعتز بالله (٢٥٢-٢٥٥هـ) الحكم، لكنه واجه صراعات مماثلة مع الأتراك بسبب عدم قدرته على توفير الأموال، مما أدى إلى حصاره في داره. تعرض المعتز للإهانة على يد الأتراك، مما أدى في النهاية إلى مقتل الخليفة.

بعد ذلك، قام الأتراك بمبايعة المهتدي بالله (٢٥٥-٢٥٦هـ) بعد تنازل المعتز، لكن المهتدي واجه صعوبات، إذ أراد الأتراك خلعه. في محاولاته للبقاء في السلطة، استخدم المهتدي الحزم والدهاء، وحاول التلاعب بالقادة الأتراك، لكن ذلك لم ينجح.

مع تصاعد التوترات، انتهى الأمر بمقتل المهتدي بعد تمرد الأتراك ضد حكمه، وواجه الأخير صعوبات في تنظيم صفوف مؤيديه، مما أدى إلى انتصار الأتراك.

### العلاقات مع الدولة البيزنطية في عصر التسلسل التركي:

استمرت العلاقات الحربية قائمة بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية ففي سنة ٢٤٨هـ/٨٦٢ م ، استدعى الخليفة المنتصر، القائد التركي وصيف ووجه الى الثغور ففتح حصن فروريه .

وفي سنة ٢٤٩ هـ / ٨٦٣ م توجه جعفر بن دينار على الصائفة، فافتتح احد الحصون وعدة مطامير، ثم ارسل عمر بن عبد الله الاقطع على راس حملة عسكرية، وسانده قسم كبير من اهل ملطية، فلقبه امبراطور الروم ومعه العدد والعدة، فقتل هو وقسم ممن معه، وعندما قتل عمر بن عبد الله الاقطع، وكان مهاباً لدى الروم " خرج الروم الى الثغور الجزرية وكتبوا عليها وعلى اموال المسلمين وحرّمهم" . وقد عظم هذا الفعل على علي بن يحيى الارمني، فخرج الى الروم فنصبوا له كميناً ادى الى مقتله ومن معه.

وقد اثار مقتل عمر بن عبد الله الاقطع، وعلي بن يحيى هيجان في بغداد لانهما من " شجعان الاسلام ، شديداً باسهما عظيماً غناؤهما عن المسلمين في الثغور... فاجتمعت العامة في بغداد بالصراخ والنداء بالنفير وانضم اليهم الابناء والشاكرية ... ثم اخرج اهل اليسار من بغداد وسامراء اموالاً كثيرة ففرقوها فيمن نهض الى الثغور، واقبلت العامة من نواحي الجبال وفارس والاحواز وغيرها لغزو بلاد الروم، فلم يأمر الخليفة في ذلك بشيء ولم يوجه عسكره " .

واستمرت العلاقات الحربية متواصلة سادتها فترات هدوء نسبي، ففي سنة ٢٥١ هـ / ٨٦٥ م توجه " بلكاجور الى بلاد الروم ففتح مطمورة، وغنم غنيمة كثيرة، واسر جماعة من الروم" . وفي حوادث سنة ٢٥٣ هـ / ٨٦٧ م توجه محمد بن معاذ من ناحية ملطية صوب بلاد الروم لكنه انهزم امامهم واسر.

## - فترة انتعاش الخلافة : ٢٥٦ - ٢٩٥ هـ / ٨٦٩ - ٩٠٧ م

تولى الخلافة في هذه الفترة ثلاثة خلفاء هم المعتمد على الله ٢٥٦- ٢٧٩ هـ / ٨٦٩- ٨٩٢ م والمعتضد بالله ٢٧٩ - ٢٨٩ هـ / ٨٩٢ - ٩٠١ م . والمكتفي بالله ٢٨٩ - ٢٩٥ هـ / ٩٠١ - ٩٠٧ .

وقد استعادت مؤسسة الخلافة هيبتها ومكانتها خلال هذه الفترة، فقد خرج الخلفاء انفسهم، وباشروا الامور، ففي خلافة المعتمد اصبح الموفق، اخوه، هو القائد الاعلى للجيش الاسلامية في الدولة العباسية، وقاد حملات عسكرية من اجل ضبط امور الدولة، فقد اشتبك مع يعقوب بن الليث الصفار. وانتصر عليه في موقعة دير العاقول سنة ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م، كما تولى قيادة الجيش العباسي لمواجهة حركة الزنج.

وعندما جاء المعتضد بالله كان قد تدرب على قيادة الجيوش والحملات، وخبر المعارك والحروب، اذ دربه ابوه الموفق اثناء القضاء على حركة الزنج، وكان المعتضد بالله يحارب الخارجين بنفسه، وقاد اكثر من حملة في هذا المجال، فقد توجه لحرب بني شيبان، ثم عقد الصلح معهم، ومن ثم توجه الى ماردان وسيطر عليها.

ولما توفي المعتضد بالله وتولى المكتفي بالله الخلافة، لم يكن له حزم ابيه في قيادة الجيوش، وتوجيه الحملات العسكرية الا انه تقرب الى الناس " بهدم المطامير التي كان ابوه اتخذها لأهل الجرائم"، ولغرض سهولة دراسة هذه الفترة سوف نتناول اهم الاوضاع الداخلية، ثم نتطرق الى ذكر العلاقات الخارجية .

## المبحث الثاني

### حركة الزنج وقيام الامارات وعصر امرة الامراء

#### حركة الزنج :

كان الزنج يستقدمون من الصومال وزنجبار، ويستخدمون في الزراعة باعداد كبيرة جداً، نتيجة للنشاط التجاري وازدهار التجارة، في غسل واستصلاح الاراضي، لجعلها صالحة للزراعة، وكذلك للاستفادة من الاملاح المتجمعة على سطح الارض، وكانت اجورهم تصرف على شكل مواد غذائية كالطحين والتمر والسويق، او تدفع لهم بشكل نقدي.

وفي شوال من سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م خرج رجل لقبة بهبود من قرية ورزنين وهي من قرى الري مدعيًا النسب العلوي وتسمى بـ علي بن محمد .

كان يتردد هو وابوه الى سامراء، اذ كانوا من بين اتباع حاشية المنتصر، ثم ترك سامراء، وتوجه سنة ٢٤٩ هـ / ٨٦٣ م صوب البحرين، ودعا الناس الى طاعته، وجبى خراجهم، ونفذ حكمه فيهم، وحاربوا اصحاب السلطان بسببه، ثم عاقب جماعة من اعيانهم، فغضبوا عليه، وجرت مناوشات فيما بينهم، فتوجه صوب الاحساء، ثم هزم في احدى المعارك، فتخلى عنه اهل الاحساء، فاتجه الى البصرة، فعلم به عامل البصرة، محمد بن رجاء الحضاري، فحبسه هو واهله، لكنه استطاع الهرب، واتجه الى يربيد بغداد، وفي الطريق قبض عليه عامل البطيحة، عمير بن عمار، لكنه تخلص منه، وسار يربيد بغداد، وادعى انه من ابناء محمد بن احمد بن عيسى، وفي سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م عزل محمد بن رجاء عن ولاية البصرة، فهجم رؤساء قبائل البلالية والسعدية على السجون، فاخرجوا اهلها، وكان من بينهم عائلة بهبود.

ثم رجع بهبود الى ولاية البصرة، وادعى انه مرسل من ابناء الواثق بالله لغرض بيع السباخ، وامر الناس ان يسلموا عليه بالأمرة، كما دعا العبيد الزوج الى الدخول في طاعته بعد ان تعرف على احوالهم، فسأل عن اخبار غلمان الشورجيين، وما يجري لكل غلام منهم من الدقيق والسويق والتمر، ودعا العبيد في خطبة الى ضرورة تحسين وضعهم ، وانه يهدف الى ان يرفع اقدارهم ويملكهم العبيد والاموال والمنازل ويبلغ بهم اعلى الرتب.

ولهذا نستنتج انه لم يهدف الى القضاء على الرق، فقد حرر العبيد لكنه استرق من وقع في يده من الاسرى، كما اخذ يدعو بقية العبيد للالتحاق بحركته ويحدثنا ابن الاثير عن هذا فيقول : " وما زال يدعو غلمان اهل البصرة ويقبلون اليه للخلاص من الرق والتعب، فاجتمع عنده منهم خلق كثير، فخطبهم ووعدهم ان يقودهم ويملكهم الاموال، وحلف لهم بالأيمان ان لا يغدر بهم ولا يخذلهم ". وقد توسط موالي العبيد لديه بان يرجع اليهم عبيدهم لقاء خمسة دنانير لكل عبد، لكنه رفض ذلك.

وكان اغلب الزنج من غير العرب، ومن الذين لا يفهمون العربية ولا يملكون اية ثقافة، وكان صاحب الزنج بحاجة الى سند شرعي لدعم حركته، فادعى ان العناية الالهية ارسلته لكي يخلص العبيد من وضعهم، وادعى النبوة، زمعرفة الغيب، وعلى الرغم من ادعائه النسب العلوي، الا انه دعا الى فكرة الخوارج، ويرى ان يكون الخليفة من افضل المؤمنين، ولو كان عبداً حبشياً، وكان يكتب على لوائه " ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم بان لهم الجنة " . وهذا شعار الخوارج الازارقة، كما كتب على علمه اسمه واسم ابيه فقط .

### ماهي الاسباب التي أدت الى استمرار حركة الزنج :

استمرت هذه الحركة اربعة عشر عاماً (٦) رمضان ٢٥٥ - ٢ صفر ٢٧٠ هـ / ٨٦٨ - ٨٨٣ م ، هددت خلالها الدولة العباسية، وقد ارسلت اليها الخلافة العباسية عدة جيوش من اجل القضاء على هذه الحركة لكنها فشلت للأسباب الآتية :

- ١- المنطقة التي نشبت فيها الحركة كانت ارضاً خصبة صالحة للزراعة تكثرت فيها الاشجار والقنوات المائية، مما يعيق دخول الجند النظامي، ومثلنا في هذا جيش جعلان الذي كان اقلبه من الخيالة.
- ٢- كانت اغلب جيوش الخلافة التي ترسل للقضاء على الحركة تعتمد على الحركات السريعة - الخيالة - مما كان يسهل مباغتها بشكل كبير، لان القضاء على هذه الحركات في هذه المناطق يحتاج الى صبر واناة وطول مدة.
- ٣- اتباع صاحب الزنج لأسلوب التجسس، ومعرفة نوايا الجيش العباسي، وقد بدا هذا واضحاً في حربه لسكان البصرة، اذ جمع واليها المتطوعة، وهاجموا الزنج فانتهروا عليهم، وتعقبوهم، ثم رجع الزنج اليهم " فلم ينج منهم الا الشريد "، ورفض صاحب الزنج دخول مدينة البصرة، واتخاذها قاعدة له لاعتقاده بان اهلها ضده.
- ٤- بناؤه لقاعدة عسكرية عرفت بالمختارة، وقد حصنها وشحنها بالأموال والمؤن والرجال.

ثم اتسعت حركة الزنج، وشملت الابلة والاحواز، وترك قسم كبير من سكان البصرة ارضهم، حيث انفض كثير من اهلها عنها، وتفرقوا في بلدان شتى، وقطعت المواصلات بين البصرة وبغداد، وانقطعت التجارة، واصيبت بأضرار بالغة. وتعرضت مدينة البصرة مرات متعددة لغارات الزنج فقتلوا الكثير من اهلها، وخرّبوا المسجد الجامع، واحرقوه، وقتلوا من اهلها على حد بعض الروايات التاريخية ٣٠٠٠٠٠ وسبوا الاطفال والنساء وحصل الواحد منهم على عشرة ارقاء او اكثر، فهرب الناس على وجوههم، ثم ارسل الخليفة محمد بن المولد، لنجدة اهل البصرة، فدخل البصرة والابلة، دون مقاومة، لكن صاحب الزنج بيت عسكره وهاجمه.

كما تعرضت مدينة واسط ايضاً لخطر الزنج، الذين هاجموا فخلى الناس البلد، وخرجوا حفاة على وجوههم، واحرقت واسط، ثم توجه الزنج شمالاً، فوصلوا النعمانية التي احرقوا سورها واكثر منازلها وسبوا اهلها، ثم وصلوا جرجرايا، فلجأ سكانها الى مدينة بغداد.

لكن الذي عجل في القضاء على حركة الزنج، هو مجيء الموفق، وتحمله مسؤولية قيادة الجيوش العباسية اثر بارز في اخماد حركة الزنج والقضاء عليهم .

كانت البداية صعبة، اذ لم يكن الموفق مستعداً للقتال، فهزم جيشه اكثر من مرة، ومرت الخلافة في ظروف صعبة، جعلت الموفق اكثر من مرة يترك قيادة الجيش ويتجه الى سامراء، ومن هذه الحوادث الحرب مع الصفارين في موقعة دير العاقول، وقد خاف الموفق ان يحدث تحالف بين يعقوب بن الليث الصفار وبين صاحب الزنج، سيما وقد ارسل صاحب الزنج يعقوب بن الليث وطلب منه التعاون من اجل القضاء على الخلافة العباسية، لكن يعقوب بن الليث رفض ذلك التعاون.

وكذلك محاولة هرب الخليفة المعتمد على الله الى مصر، حيث حاول احمد بن طولون استمالته اليه ، ودعاه الى مصر فتظاهر المعتمد برحلة صيد الى الجزيرة، فعلم به الموفق، فارسل الى والي الموصل اسحاق بن كنداج بالقبض على الخيفة وارجاعه الى سامراء، وكان احمد بن طولون قد تمهياً لاستقبال الخليفة، وقدم الى بلاد الشام من مصر، فافشل الموفق هذه المحاولة.

لكن وفاة يعقوب بن الليث الصفار سنة ٢٦٥ هـ / ٨٧٨ م وتولي اخيه عمرو بن الليث الصفار، قلب ميزان القوى، فبدأ عمرو بن الليث صفحة بيضاء مع الخلافة العباسية، واعلن خضوعه للخليفة العباسي، كل هذه الامور سهلت مهمة القضاء هذه الحركة .

لهذا اخذ الموفق يفكر جدياً في محاربة الزنج، ويتأني ولا يتسرع، وقد اسند الموفق قيادة الجيش لابنه ابي العباس -المعتضد - كما امر الموفق ببناء القوارب الصغيرة والمتوسطة، لغرض مواجهة الزنج ومحاربتهم بنفس اسلحتهم التي يستخدمونها ضد الخلافة وجيوشها.

وقد اظهر ابو العباس من المقدرة العسكرية، وبعد النظر العسكري ما فاق تصور الزنج، الذين اعتقدوا انه فتى غرٌّ ، لم تطل به ممارسة الحروب وتدريبه عليها، حيث لن يتجاوز ٢٣ ربيعاً، لكنه تمكن من تمزيق جيش سليمان بن جامع، كما عمل ابو العباس على بناء قاعدة عسكرية له تعرف بالعمر لتكون مقراً لجيشه.

واتبع ابو العباس خطة جديدة، فبعد كل هجوم كان يصطنع من بقي من الزنوج ويقرهم، ويعفو عنهم، ويجعلهم قرب اصحابهم ليروا مدى التكريم والتقدير الذي يلقونه، وكانت اخبار هؤلاء تصل الى

جيش صاحب الزنج فتفت في عضده، فاستأمن كثير من جيشه الى جيش الخلافة العباسية، لهذا امر صاحب الزنج، بوضع الحرس على منافذ الانهار.

وعندما شدد الموفق وابنه الحصار على صاحب الزنج، امر صاحب الزنج علي ابن ابان بترك الاحواز والتوجه اليه، فلما علم الموفق بهذه المحاولة جاء واسند ابنه، وتوجه لحرب المدينة المنيعه قرب واسط، واحتل الجيش العباسي الحصن، وخلصوا ٥٠٠٠ اسيرة مسلمة منهم، ثم امر الموفق الناس في اخذ ما كان فيها اجمع، وامر بهدم سورها وطم خندقها، واحراق ما تبقى من السفن فيها، ثم اخذ الموفق يستعد لمهاجمة المنصورة، وقد حصنها الزنج بخمسة خنادق، وجعلوا امام كل خندق منها سوراً يلجئون اليه، واستطاع الجيش العباسي، من دخولها، وهرب سليمان بن جامع، وقد استنقذ الموفق زهاء ١٠٠٠٠ من اهل واسط، وغيرها فحملوا الى اهلهم، ثم امر الموفق بهدم سورها وطم خندقها. ثم توجه الموفق الى الاحواز فدخلها في رجب سنة ٢٦٧ هـ / ٨٨٠ م ، منذ هذا الوقت اقتصر الزنج على مدينتهم المختارة، واصبحت الحرب تدور حولها.

وقد ارسل الموفق فرقة استطلاعية بقيادة ابنه ابي العباس ، وقد استأمن اليه احد قادة الزنج واسمه منتاب، فكان ذلك مما كسر صاحب الزنج واصحابه، وقد ارسل الموفق اليه كتاباً يدعوه الى الطاعة ويبذل له الامان الا ان صاحب الزنج رفض ذلك.

واشرف الموفق على المختارة، وكانت مدينة محصنة جداً " فاشرف عليها وتأملها، فرأى من منعتها وحصانها بالحصون والخنادق المحيطة بها ، وما عور من الطرق المؤدية اليها، وما اعد من المجانيق والعرادات والقسي الناوكيه ، وسائر الآلات على سورها، مالم يُر مثله ممن تقدم من منازعي السلطان، ورأى كثرة عدد مقاتليهم، واجتماعهم ما استغلظ امره " .

وفرض الموفق حصاراً اقتصادياً واسع النطاق لمنع الطعام والميرة من الوصول الى المختارة، ونتيجة لهذا الحصار، استأمن كثير من الزنج الى الموفق، وكانوا يلقون كل عناية، ويجعلون قرب اصحابهم ليرون ما يفعل بهم من تكريم.

كما اكثر الموفق من استخدام الشذا، ومما يحارب به في الماء، فامر بإنفاذ الرسل في حمل المير في البر والبحر، وادراها الى العسكر بالمدينة التي سماها الموفقية، وكتب الى عماله في النواحي في حمل الاموال الى بيت ماله في هذه المدينة وانفذ رسولا الى سيراف وجناباً في بناء الشذا والاستكثار منها، لما احتاج اليه من ترتيبها في المواضع التي يقطع بها المير عن الخائن واشياعه وامر بالكتابة الى عماله بالنواحي بإنفاذ كل من يصلح للإثبات في الديوان، ويرغب في ذلك.

كما اتخذت الاسواق في المدينة، وامر ببنائها وامر التجار بالتجارة فيها " اذ وردت المير متتابعة يتلو بعضها بعضاً، وجهز التجار صنوف التجارات والامتعة وحملوها الى المدينة الموفقية، واتخذت بها

الاسواق وكثر بها التجار والمتجهزون من كل بلد " . كما امر بإنشاء دار لضرب الدراهم والدنانير، يضاف الى ذلك فتح الطريق التجاري بين البصرة وبغداد .

ومن جهة اخرى شدد الحصار الاقتصادي على المختارة بشكل كبير فارسل صاحب الزنج حملة قدر عددها بـ ١٠٠٠٠ مقاتل لأخذ ما في البطيحة من طعام وميرة، وقطع الميرة عن جند الموفق، الا ان الموفق ارسل حملة عسكرية ، فرقت حملة صاحب الزنج.

كما ضرب الموفق وابنه المعتضد على ايدي تجار الحروب ممن كان يساعد الزنج ويحدثنا ابن الاثير في حوادث سنة ٢٦٨ هـ / ٨٨١ م فيقول : " وفي هذه السنة اوقع ابو العباس احمد بن الموفق، وهو المعتضد بالله ، بقوم من الاعراب، كانوا يحملون الميرة الى عسكر الخبيث، فقتل منهم جماعة واسر الباقين، وغنم ما كان منهم، وارسل الى البصرة من اقام بها لأجل قطع الميرة " .

وسير الموفق رشيقاً مولى ابي العباس، فأوقع بقوم من بني تميم كانوا يجلبون الميرة الى الخبيث فقتل اكثرهم واسر جماعة منهم فحمل الاسرى والرؤوس الى الموفقية، فامر بهم ، فوقفوا بإزاء عسكر الزنج وانقطعت الميرة بذلك عنه بالكلية، فأضربهم الحصار، وضعفت ابدانهم فكان يسأل الاسير والمستأمن عن عهده بالخبز، فيقول : " عهدي به منذ زمان طويل " .

واخذ جيش صاحب الزنج يستأمن عند الموفق، لهذا فقد اخذ صاحب الزنج يقتل اصحابه، ومن يشك بانه سوف يلجأ الى عسكر الموفق .

وقد جرت محاولات متعددة لدخول المختارة ففي ذي القعدة من سنة ٢٦٧ هـ / ٨٨٠ م قام الموفق بهجوم كبير على المختارة، وامر اصحابه ان يهدموا سورها ولا يدخلوها، فدخلوها فتأذوا بها كثيراً.

ثم توالت نجدات الخلافة للموفق من سامراء ، وجاء الكثير من المتطوعة للجهاد، وبلغ عدد من هاجم المختارة في ٢٧ محرم من سنة ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م ٥٠٠٠٠ مقاتل من الرجالة و ٢٠٠٠ فارس " سوى من عبر من المطوعة واهل العسكر ومن لا ديوان له " فقضي على الحركة ، وقتل صاحبه واتباعه، واستأمن من الباقون، وقد اصدر الموفق منشوراً الى المسلمين يبشرهم فيه بانتهاء الخطر و " يدعو اهل البصرة والابلة وكور دجلة واهل الاحواز وكورها واهل واسط وما حولها " بالرجوع الى مدنهم ومناطقهم ومزاولة اعمالهم الاعتيادية .

## الطولونيون في مصر والصفاريون في بلاد المشرق

### العلاقات مع الامارة الطولونية :

استطاع احمد بن طولون من تأسيس دولة مستقلة في مصر، وطمع في بلاد الشام، وعندما جاء المعتمد الى الخلافة، كان الموفق هو الحاكم الحقيقي، وليس للمعتمد الا الاسم، فاراد الموفق ان يعزل احمد بن طولون عن ولاية مصر، وقد بذل كل منهما عدة وسائل من اجل الايقاع بالطرف الاخر، الا انها فشلت في عزل ابن طولون عن ولاية مصر، وظلت الامور هكذا حتى فكر احمد بن طولون في كسب الخليفة المعتمد على الله الى جانبه، فارسل له رسالة يبين فيها شوقه اليه، ويعيب على الموفق تسلطه على الخليفة، وارسل له رسالة جاء فيها : " وقد اجتمع عندي مائة الف عنان، مؤلفة قلوبهم، مجتمعة آراؤهم، شديد باسهم، وانا ارى لسيدي امير المؤمنين، ادام الله عزه بالنصر والتمكن والانجذاب الى مصر، فان امره يرجع بعد الامتهان الى نهاية العز، ولا يكن فيه ما يخافه في كل لحظة منه عليه ... " .

ويبدو ان هذه الرسالة قد جاءت الى المعتمد على الله، بناء على شكوى بعثها المعتمد الى احمد بن طولون، واثناء انشغال الموفق بحركة الزنج، قرر المعتمد على الله التظاهر بالصيد، وكان ابن طولون ينتظره في الشام، وعلم الموفق بالمحاولة ، فارسل الى والي الموصل يأمره بالقبض عليه، فلحقه بين الحديثة والموصل، واعاده الى سامراء.

ثم وصل الامر بين الموفق واحمد بن طولون الى القطيعة، فجمع بن طولون الفقهاء، وافتاحهم بخلع الموفق، فوافقوه جميعهم الا القاضي بكار بن قتيبة، واسقط اسمه من السكة والدعاء، ثم تحسنت العلاقات بين الموفق وابن طولون بعد ذلك .

وفي عهد خمارويه ساد الوثام بدجة اكثر بين الخلافة وبين الطولونيين حيث تزوج الخليفة المعتضد بالله، بقطر الندى ابنه خماروية، اذ كان من المقرر ان يتزوج ابن المكتفي بها، وكان ذلك في سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م .

وعند وفاة المعتضد وتولي المكتفي بالله الخلافة ساءت احوال مصر، ولم يستطع خلفاء احمد بن طولون من السيطرة على الامور، فارسل الخليفة العباسي المكتفي بالله جيشاً بقيادة محمد بن سليمان الكاتب، فاستطاع اخضاع بلاد الشام، ثم توجه الى مصر، حيث دخل مدينة القطائع سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م ، وكان الجيش العباسي يتكون من جيشين بري وبحري، وبذلك انتهت الامارة الطولونية في مصر والشام.

## العلاقات مع الامارة الصفارية :

ظهرت هذه الامارة في اقليم سجستان، وكانت في بداية امرها تتكون من المتطوعة الذين ارادوا معاونة الخلافة العباسية، بالقضاء على الخوارج واللصوص وقطاع الطرق، ثم سيطر على حركة المتطوعة يعقوب بن الليث الصفار، ثم قويت شوكته، واستطاع ان يستولي على كل اقليم سجستان، ثم اخذ يتحرش بالامارة الطاهرية، حتى تمكن من اسقاطها سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م .

عندها لم تقف الخلافة العباسية، مكتوفة الايدي تجاه هذا العمل فأصدرت منشوراً قرأ على حجاج خراسان والمشرق يبين ان هذا العمل غير صحيح، وعلى يعقوب بن الليث ان يعود الى رشده، وان سلطته غير شرعية وبدلاً من ان يتدارك يعقوب الموقف، اثبت عدم درايته وقصر نظره السياسي، فتحرك يريد احتلال العراق ، وقدم مطالب عديدة، وافقت الخلافة عليها، لكنه اراد اذلال الخليفة العباسي بدرجة اكبر، فكان لا بد من المواجهة، وخرج الخليفة العباسي المعتمد على الله وعين اخاه الموفق قائداً لجيشه، وكانت بداية الجولة لصالح يعقوب، فاضطر الخليفة للخروج، فخرج المعتمد على الله مرتدياً بردة الرسول محمد (ص) وبيده قضيب الرسول (ص) فما ان رأى جيش الصفار الخليفة مرتدياً رداء رسول الله (ص) حتى انجازوا اليه، وتركوا يعقوب وحيداً، ففر باتجاه جندي سابور، فأرسلت اليه الخلافة رسولاً يعرض الصلح فرفضه يعقوب.

وبعد وفاة يعقوب ٢٦٥ هـ / ٨٧٨ م . تولى اخوه عمرو بن الليث امور الدولة فبدأ صفحة جديدة واعلن خضوعه للخليفة العباسي الذي ارسل اليه الخلع واللواء والعهد بحكم خراسان فابقى عمرو العهد في داره ثلاثة ايام ثم مرت العلاقة بين الامارة الصفارية والخلافة العباسية بنوع من الركود، تارة والحرب تارة اخرى حتى سنة ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م ، عندما طلب عمرو بن الليث الصفار ولاية ما وراء النهر ليحكمها بدلاً من السامانيين، فاضطر الخليفة العباسي المعتضد الى ارسال عهد ما وراء النهر اليه، فتوجه للقضاء على الامارة السامانية، وقرب بلخ دارت معركة كانت الغلبة فيها للسامانيين ، وسقطت الامارة الصفارية، ثم ارسل اسماعيل بن احمد الساماني عمرو بن الليث الصفار اسيراً الى الخليفة المعتضد في سامراء فتلقاه وقال له : " الحمد لله الذي كفاني شرك، وفرغت القلوب من الانشغال بك " . ثم امر به فقتل سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م .

## الاضاع الداخلية :

لم يستطيع الخليفة المعتضد على الله من تولي الكثير من الامور بنفسه بل تركها لأخيه ابي العباس طلحة - الموفق - حيث ناب عنه في مختلف الامور، ولم تمدنا المصادر عن قيام المعتمد على الله بقيادة الجيوش بنفسه، ما عدا موقعة دير العاقول سنة ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م .

لكن عند معيء ابي العباس احمد بن الموفق ( المعتضد ) الى الخلافة اختلفت الامور، فقد باشر المعتضد الامور بنفسه ، وقاد الجيوش فهو اول خليفة عباسي في عصر النفوذ التركي قام بقيادة الجيوش، ولدينا امثلة عديدة حول قيامه بهذا الامر، فقد هجم على بني شيبان سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م، وفي سنة ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م هجم على بني حمدان واستعاد منهم قلعة ماردين ، واستعاد سنة ٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م قلعة آمد ، ولم يترك اية فرصة للخارجين عليه لالتقاط انفسهم، بل كان يعاجلهم ولا يمهلهم ابداً.

وفي عهد الخليفة المعتضد جرى اصلاح نظام الجباية، فقد امر الخليفة المعتضد سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م " بالكتابة الى الاعمال كلها والبلاد جميعها بترك افتتاح الخراج في النيروز العجمي، وتأخير ذلك الى الحادي عشر من حزيران وسماه النيروز المعتضدي، وانشئت الكتب بذلك من الموصل والمعتضد بها، واراد بذلك الترفيه عن الناس والرفق بهم " .

كما اصدر المعتضد منشوراً سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م ، ابطل بموجبه ديوان المواريث، وامر بان يرد الفاضل من المال من سهام المواريث الى ذوي الارحام.

وفي خلافة المكتفي بالله ٢٨٩ - ٢٩٥ هـ / ٩٠١ - ٩٠٧ م جرت بعض الاصلاحات الادارية، فقد امر المكتفي بهدم المطامير التي اتخذها ابوه، لذوي الريبة والشكوك واخرج الناس من السجون، الا انه يؤخذ عليه انه لم يكن له همة والده في قيادة الجيوش ومتابعة الخارجين على الدولة، مما افسح المجال مرة اخرى لتدخل القادة والوزراء في امور الدولة، وقد تم في عهد المكتفي استعادة بلاد الشام من القرامطة، وعادت بلاد الشام لحكم الخلافة العباسية.

كما تم في عهد المكتفي بالله الاهتمام بالحركة العمرانية وبناء القصور والمساجد فقد بنى قصر الثريا، والفردوس، ووضع اسس قصر التاج، وبنى مسجداً في ساحة البلاط، كما وعرف عنه حبه للمال، فقد جمع في فترة حكمه القصيرة اربعة ملايين دينار، اضافها الى ما جمعه ابوه من قبل .

#### - عصر امرة الامراء ٣٢٤ - ٣٣٤ هـ / ٩٣٦ - ٩٤٥ م .

تولى الخلافة في هذه الفترة ثلاثة خلفاء هم القاهر بالله (ابو منصور محمد بن المعتضد ٣٢٠ - ٣٢٢ هـ / ٩٣٢ - ٩٣٣ م) ثم خلع وسملت عيناه، وهو اول خليفة عباسي يسمل لئلا يكون له اي امل في العودة الى الخلافة مرة اخرى، وبويع بعد خلعه لابي العباس احمد بن المقتدر، ولقب بالراضي بالله ٣٢٢ - ٣٢٩ هـ / ٩٣٣ - ٩٤٠ م ، وكان محبوباً فأخرجه الاتراك، وباعوه ثم تولى ابراهيم ابن المقتدر الخلافة ( ٣٢٩ - ٣٣٣ هـ / ٩٤٠ - ٩٤٤ م) ولقب بالمتقي لله ، ثم خلع وسمله توزون في هيت، وبويع بعد خلعه لابي القاسم عبد الله بن المكتفي بالله ولقب بالمستكفي بالله ( ٣٣٣ - ٣٣٤ هـ / ٩٤٤ -

٩٤٥ م ) وظل في الخلافة حتى دخل البويهيون بغداد ، حيث خلعه ، وبايعوا للمطيع لله ابي القاسم الفضل بن المقتدر .

تميزت هذه الفترة بالاضطرابات، وعدم الهدوء والاستقرار ، والسبب الرئيسي هو عدم توفر الاموال لدفع رواتب الجند، وشغب الجند لم يقتصر على الخلفاء بل تعداه الى الوزراء وضد قادتهم بالذات اذ كانوا يشعرون انهم قد استأثروا بالأموال دونهم .

ونتيجة لهذا الوضع الاقتصادي السيء، وعدم استطاعة الوزراء احداث موازنة على الاقل بين الواردات والمصروفات اضطر الخليفة الى البحث عن حل عله يجد مبتغاه فيه، فاستحدث منصب امير الامراء، وقد تم الاتفاق بين الخليفة العباسي، وبين ابن رائق، ان يسند اليه منصب امير الامراء، لقاء القيام بتوفير نفقات الدولة والجيش .

وباستحداث هذا المنصب فقد منصب الوزارة اهميته، وعلت مرتبة امير الامراء على منصب الوزير، حيث بطل " منذ يومئذ امر الوزارة، فلم يكن الوزير ينظر في شيء من امر النواحي ولا الدواوين ولا الاعمال ، ولا كان له غير اسم الوزارة فقط " .

واصبح امير الامراء يتولى تعيين الولاة والعمال وعزلهم ، وشارك الخليفة في اخص امتيازاته، اذ صار اسمه يذكر في خطبة الجمعة والاعياد، والاكثر من هذا انه اخذ يتدخل في امر البيعة وولاية العهد، فقد طلب الخليفة الراضي بالله من امير الامراء بجكم الديلمي، ان يعين ابنه ولياً للعهد فرفض ذلك، كما ان امير الامراء كان يتدخل في تعيين وزير الخليفة، ان شاء ابقاه ، وان شاء عزله .

وقد حاول الخلفاء العباسيون التخلص من سيطرة الترك ، وامير الامراء وقادة الجيش التركي، الا ان محاولتهم باءت بالفشل ، وذهبوا ضحية محاولاتهم هذه .

واضرت هذه الاوضاع بمعنويات الناس وبحالتهم الاقتصادية سيما بعد ان كثرت المصادرات من امير الامراء جعفر بن شيرزاد، الذي اكثر من مصادرات الناس والتجار والاعنياء في بغداد، وتفنن في فرض ضرائب اضافية من اجل توفير اموال الجند ، حتى اضطر التجار الى الرحيل عن مدينة بغداد .  
وخالصة القول ، فان نظام امرة الامراء، كان تجربة فاشلة ادخلها الخليفة الراضي، لم تستطع ان تنقذ الخلافة من ازمته السياسية والمالية، بل زادت في النزاع بين القادة للاستئثار بالحكم .

وفي خلافة المستكفي استطاع احمد بن بويه من احتلال بغداد بعد عدة محاولات فاشلة ، ودخل البويهيون محل امراء الامراء في بغداد ، وبدأ العصر البويهي الذي استمر من سنة ٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥ م .